

الإمام الحسين ومبدأ العدالة الاجتماعية



الشيخ الدكتور عبدالله أحمد اليوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُحْفَظَةٌ
جَمِيعِ حَقُوقِ

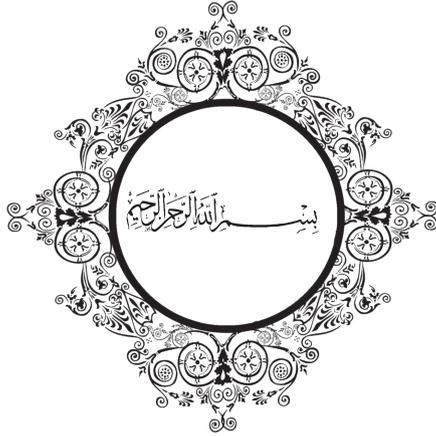
الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



الإمام الحسين عليه السلام ومبدأ العدالة الاجتماعية

الشيخ الدكتور/ عبد الله أحمد اليوسف



﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ
وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ﴾.

سورة النحل، الآية: ٩٠.



المقدمة

أمر الله سبحانه وتعالى بإقامة العدل والإحسان ونهى عن الظلم والجور والطغيان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) لأنه بالعدل تحفظ الأرواح، وتصان الحقوق الخاصة والعامة، ويساوى بين الناس في الفرص، ويصبح الجميع أمام القانون سواء.

وبالظلم تنتهك الحقوق، وتسفك الدماء، ويظلم الضعفاء، وتسلب الحريات، وتهتك الأعراس والأموال والأنفس.

إذ يعد الظلم من أخطر الآفات الاجتماعية والسياسية التي تهدد أي مجتمع بالزوال والانهيار والدمار، وانعدام الأمن والسلام الاجتماعي، وغياب الاستقرار السياسي، وتضاعف

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

المشاكل وتراكمها.

وما ساد الظلم الاجتماعي في مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا أدى إلى تدمير ذلك المجتمع حضارياً، كما أشار القرآن المجيد إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وخطورة الظلم وتأثيره السيء على مسيرة المجتمعات البشرية فقد حذر القرآن الكريم من ممارسة الظلم وتوعدَّ الظالمين بسوء العاقبة كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءِ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٥).

ويحذر الرسول الأعظم عليه السلام من ممارسة الظلم لأنه ظلمات يوم القيامة، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «اتقوا الظلم فإنه ظلمات

(١) سورة النمل: الآية ٥٢.

(٢) سورة هود: الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢١، وسورة يوسف: الآية ٢٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٥) سورة النساء: الآيتان ١٦٨ و ١٦٩.

يوم القيامة»^(١) وقال الإمام علي عليه السلام: «الظلم في الدنيا بوار، وفي الآخرة دمار»^(٢).

وكل هذا التحذير من الظلم، وتشديد العقوبة على الظالمين، وتهديدهم بأن مصيرهم سيكون الخلود في النار؛ لأن الظلم من أقبح الأمور، وأعظم المعاصي، وأكبر المعاول لهدم المجتمع، وأكبر انتهاك لحقوق الناس المعنوية والمادية.

ولقبح الظلم وخطورته فقد تكررت كلمة (الظلم) ومشتقاتها ١٥٤ مرة مما يدل على النهي الشديد من ممارسة الظلم، لماله من آثار وخيمة على الاجتماع البشري، ولما يتركه من تداعيات ومفاعيل خطيرة في البناء الاجتماعي للأمة.

ولذلك عندما رأى الإمام الحسين عليه السلام اتباع يزيد والحكم الأموي سياسة الظلم والجور والطغيان، وغياب العدل والعدالة الاجتماعية، وانتشار المفاسد والمظالم، أعلن ثورته الكبرى ضد الظلم والطغيان والظالمين، ومن أجل تحقيق العدل والعدالة

(١) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ١٦، ص ٤٦، رقم ٢٠٩٤١.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الري شهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج ٤، ص ١٧٧٠، رقم ١١٣٧٤.

الاجتماعية، وإصلاح حال الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويتناول هذا الكتاب الموسوم بـ (الإمام الحسين عليه السلام ومبدأ العدالة الاجتماعية) أحد دوافع الثورة الحسينية وهو العمل من أجل تحقيق العدل وبناء العدالة الاجتماعية، ورفض الظلم والفساد، والتصدي للظالمين والمفسدين في الأرض.

وقد ركزت هذه الدراسة المختصرة على مبدأ العدل في الرؤية الإسلامية لأنه يعد محوراً لكل شيء، وعليه تركز فلسفة التشريع، وحكمة التكوين، وبناء المجتمع، وحفظ الحقوق، وتعميق المبادئ الأخلاقية.

والعدل لا يقتصر على جانب دون آخر؛ بل هو مطلوب في كل المجالات والحقول، إذ يجب أن يعم العدل في كل شيء، في الاجتماع والثقافة والتربية والحقوق والسياسة والاقتصاد، وبدونه لا يمكن أن ينعم المجتمع بالسعادة والأمن والاستقرار.

وتطرقت في هذه الدراسة إلى دور الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة في إعلاء قيمة العدل ومبدأ العدالة الاجتماعية في الحكم والإدارة، ورفض الظلم والطغيان والفساد بمختلف صورته وأشكاله.

فالعدل هو محور كل شيء، وهو أساس تحقيق السعادة

والرفاء والتقدم، وهو الذي يحافظ على التوازن الاجتماعي،
فما طبق العدل في مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا وتحقق له
الخير والرخاء والأمن والاستقرار الاجتماعي، لذلك كله أمر
الله سبحانه وتعالى بالعدل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

فالإمام الحسين عليه السلام إنما ثار ونهض واستشهد مع أهل بيته
وخيرة أصحابه من أجل تحقيق العدل الاجتماعي، ومقاومة الظلم
والظالمين، ومحاربة الفساد والمفسدين.

وشملت هذه الدراسة المحاور التالية:

- ١- العدل في القرآن الكريم.
- ٢- في معنى العدل.
- ٣- في معنى الظلم.
- ٤- أنواع الظلم.
- ٥- العدل في السنة الشريفة.
- ٦- مفهوم العدالة الاجتماعية.

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

٧- الإمام الحسين وتحقيق العدالة الاجتماعية.

٨- ألا ترون أن الحق لا يعمل به؟!

٩- الإمام الحسين عليه السلام ومواجهة الظلم والفساد.

١٠- الإمام الحسين عليه السلام والتصدي للظلم.

١١- مواجهة الظلم.

١٢- الخاتمة.

وختاماً... أبتهل إلى الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعمالِي، وإن ينفعني به في آخِرِي، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١)، إنه - تبارك وتعالى - محط الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله المستعان

عبد الله أحمد اليوسف

الحلة - القطيف

٥ شوال ١٤٣٨ هـ

٣٠ يونيو ٢٠١٧ م

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.



العدل في القرآن الكريم

يُعد العدل في الرؤية القرآنية محوراً لكل شيء، وعليه تركز فلسفة التشريع، وحكمة التكوين، وبناء المجتمع، وحفظ الحقوق، وتعميق المبادئ الأخلاقية.

والعدل لا يقتصر على جانب دون آخر؛ بل هو مطلوب في كل المجالات والحقول، إذ يجب أن يعم العدل في كل شيء، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والتربية والحقوق، وبدونه لا يمكن أن ينعم المجتمع بالسعادة والأمن والاستقرار.

ومما يدل على أهمية العدل في المنظور القرآني أنه «تكررت مادة العدل بمشتقاتها ما يقرب من ثلاثين مرة في القرآن الكريم، ويشير هذا التكرار إلى عناية التنزيل المجيد بالحديث عن العدل»^(١).

(١) موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ج ١، ص ٢٢.

وإذا دققنا النظر في القرآن وجدناه يدور حول محور واحد هو العدل في كل الأفكار القرآنية، من التوحيد إلى المعاد، ومن النبوة إلى الإمامة والزعامة، ومن الآمال الفردية إلى الأهداف الاجتماعية. فالعدل في القرآن قرين التوحيد، وركن المعاد، وهدف تشريع النبوة، وفلسفة الزعامة والإمامة، ومعيار كمال الفرد، ومقياس سلامة المجتمع.

والعدل القرآني عندما يتعلق بالتوحيد أو المعاد فإنه يعطي معنى خاصاً لنظرة الإنسان إلى الوجود والعالم، وبعبارة أخرى نقول: إنه نوع من النظرة الكونية.

ففي الموارد التي يتعلق فيها العدل بالنبوة أو التشريع والقانون فإنه يعتبر معياراً أو مقياساً لمعرفة القانون. وبعبارة أخرى: يعد إعطاء مجال للعقل بعد الكتاب والسنة ليكون منبعاً للفقهاء والاستنباط. وأما في الموارد التي يتعلق فيها بالإمامة والقيادة فإنه يعد نوعاً من اللياقة، وفي الموارد الأخلاقية يعتبر أملاً إنسانياً، وفي المجالات الاجتماعية يعد مسؤولية^(١).

ولأهمية العدل في حياة الناس؛ فإن أهم هدف لبعث الأنبياء والرسل بعد تعريف الناس بالخالق جلّ وعلا هو بسط العدل

(١) العدل الإلهي، مرتضى مطهري، مؤسسة أهل البيت، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٤٦ - ٤٧.

بينهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١) ذلك لأن الاجتماع البشري لا يمكن أن يتأسس فيه روح النظام والقانون والمساواة إلا بتحقيق العدل والعدالة، ومن هنا جاء الأمر الإلهي بضرورة تطبيق العدل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٣).

فالعدل هو جوهر الإسلام وروحه، وهو المحور الأساس لتطبيق أصول الدين وفروعه، وبتطبيقه تنعم البشرية بالسلام والاطمئنان والأمن والرفاهية والرخاء؛ أما عندما ينتفي العدل والعدالة من حياتنا، فإن نقيضه سيحل محله، وهو الظلم والجور، وهو أساس كل شر، وسبب كل شقاء، ومنبع الرذائل والفواحش، وجذر التخلف والتقهقر الحضاري ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾^(٤).

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٤) سورة الحج: الآية ٤٥.



في معنى العدل

أفضل تعريف لمعنى العدل هو: (وضع الأمور في مواضعها) الوارد عن الإمام علي عليه السلام^(١) ولهذا المفهوم الواسع مصاديق كثيرة من جملتها: العدالة بمعنى الاعتدال، العدالة بمعنى رعاية المساواة ونفي كل ألوان التمييز، العدالة بمعنى رعاية الحقوق والاستحقاقات، وأخيراً العدالة بمعنى التزكية والتطهير^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: «عدل: العَدَالَةُ والمُعَادَلَةُ لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايقة، والعَدْلُ والعَدْلُ يتقاربان، لكن العَدْلُ يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام،

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ج ٤، ص ٧٦٢، رقم ٤٣٢، ونص ما قاله الإمام عليه السلام: «العدل يضع الأمور مواضعها».

(٢) نفحات القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة أبي صالح للنشر والثقافة، قم - إيران، غير مذكور عدد الطبعة ولا تاريخها، ج ٤. ص ٣٥٩.

وعلى ذلك قوله: ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ وَالْعَدْلُ وَالْعَدِيلُ فِيمَا يَدْرِكُ بِالْحَاسَةِ كَالْمُوزُونَاتِ وَالْمَعْدُودَاتِ وَالْمَكْيَلَاتِ، فَالْعَدْلُ هُوَ التَّقْسِيطُ عَلَى سِوَاءٍ^(١).

فالعدل يعني العدالة، والعدالة تشمل الحكم والقضاء، وتشريع القوانين، والمساواة في مجال الحقوق، وعدم الاعتداء على حقوق الآخرين، ووضع كل شيء في موضعه المناسب له.

وقد عَبَّرَ القرآن الكريم عن العدل بثلاث كلمات هي: العدل، والقسط، والميزان، إلا أنه أحياناً تأتي كلمة القسط أو الميزان في القرآن الكريم بمعنى مغاير لكلمة العدل، ويُعرف ذلك من خلال سياق الآيات الكريمة وتفسيرها.

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ص ٣٢٩.



في معنى الظلم

١ - المعنى اللغوي:

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. وأصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد. والظلم: الميل عن القصد. ثم كثر استعماله حتى سمي كل عسف ظلماً^(١).

وقال الراغب الأصفهاني: «الظُّلْمُ عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه»^(٢) والظُّلْمُ يقال في مجاوزة

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج ١٢، ص ٣٧٣، وكتاب المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استنبول - تركيا، ج ٢، ص ٥٧٧، وغيرها من كتب اللغة. مادة: (ظلم).

(٢) المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٣١٨.

الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير (١).

٢ - المعنى الاصطلاحي:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي لكلمة (الظلم) عن معناه اللغوي. إذ أن نقيض العدل هو الظلم، ولذلك يمكن تعريفه بأنه: (وضع الأمور في غير مواضعها).

٣ - معنى الظلم الاجتماعي:

يمكننا أن نعرف الظلم الاجتماعي بأنه: أي انتهاك أو تعدٍ أو تجاوز أو حيف بحقوق الناس العامة، أو ممارسة التمييز ضدهم على أسس قبلية أو عرقية أو مذهبية أو لغوية أو غيرها من اعتبارات عنصرية؛ من غير فرق بين أن يكون القائم بهذه الممارسات الظالمة سلطة سياسية أو غيرها. مع العلم أن السلطة السياسية الحاكمة في أي مجتمع إنساني هي الأقدر على ممارسة الظلم أو تطبيق العدل.

«والجدير بالانتباه هو استعمال القرآن الكريم كلمة (العدل) في المواضع المتعلقة بوظيفة العباد، وعدم استعماله هذه الكلمة

(١) المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة

بخصوص الباري تعالى. وبالمقابل يلاحظ تعبير (نفي الظلم) عن الله بكثرة، وتعبير إقامة الله القسط ليس بقليل أيضاً^(١).

ذلك لأن الله سبحانه وتعالى عادل في كل شيء، والمطلوب من الناس أن يطبقوا العدل والعدالة في حياتهم، أما نفي الظلم عن الذات المقدسة فحتى لا يرتاب أحد من الناس أن الظلم الذي وقع عليه هو من الله، فالله عز وجل يريد العدل في كل شيء، والظلم لا يمكن أن يكون صادراً إلا من البشر.

(١) نفحات القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ٤، ص ٣٦١.



أنواع الظلم

ينقسم الظلم - كما يستفاد من القرآن الكريم - إلى ثلاثة أنواع وهي:

الأول - ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى:

وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١) وإياه قصد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢) ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٣) في آي كثيرة وقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾^(٤) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^(٥).

(١) سورة لقمان: الآية ١٣.

(٢) سورة هود: الآية ١٨.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٣١.

(٤) سورة الزمر: الآية ٣٢.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٢١.

والثاني - ظلم بينه وبين الناس:

وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١) وبقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾^(٢) وبقوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا﴾^(٣).

والثالث - ظلم بينه وبين نفسه:

وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾^(٤) وقوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾^(٥) ﴿إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٦) ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٧) أي من الظالمين أنفسهم: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٨) وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس فإن الإنسان في أول ما يهيم بالظلم فقد ظلم نفسه، فإن الظالم أبداً مبتدئ في الظلم^(٩) ولهذا

(١) سورة الشورى: الآية ٤٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ٤٢.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٣.

(٤) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٥) سورة النمل: الآية ٤٤.

(٦) سورة النساء: الآية ٦٤.

(٧) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٨) سورة البقرة: الآية ٢٣١.

(٩) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت

- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٣١٩.

قال تعالى في غير موضع: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

قال الرسول الأعظم ﷺ: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه»^(٣).

وقال الإمام علي عليه السلام: «ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله... وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً»^(٤).

ولقبح الظلم والجور والاعتداء على الآخرين فإن القرآن الكريم يحدثنا عن هلاك وتدمير مجتمعات بكاملها نتيجة للظلم السائد بينهم، يقول تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾^(٦).

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٧.

(٣) ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٤، ص ١٧٧٣، رقم ١١٤١٥.

(٤) ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٤، ص ١٧٧٣، رقم ١١٤١٦.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ١١.

(٦) سورة الحج: الآية ٤٨.

وما ساد الظلم في مجتمع إلا وحلَّ معه الفساد والجور
والاضطراب وانعدام الأمن والسلام، وما حلَّ العدل في مجتمع إلا
وحلَّ معه الصلاح والخير والأمن والسلام والاطمئنان ﴿الَّذِينَ
آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١).

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٢.



العدل في السنة الشريفة

تواترت الأخبار والروايات الواردة عن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام في الحث والتحريض على الالتزام بالعدل ومساندة الحاكم العادل ومنها:

١ - قال رسول الله ﷺ: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة؛ قيام ليلها، وصيام نهارها»^(١).

٢ - وقال ﷺ: «أحب الناس إلى الله وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر»^(٢).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة أهل البيت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ج ٧٢، ص ٣٥٢، رقم ٦١.
(٢) كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، غير مذكور عدد الطبعة، ج ٦، ص ٩، رقم ١٤٦٠٧.
بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٥١.

- ٣- وقال عليه السلام: «إذا حكمتم فاعدلوا؛ وإذا قلتم فأحسنوا؛ فإن الله محسن يحب المحسنين»^(١).
- ٤- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: - في وصيته لابنه الحسين عليه السلام - : «أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر . . . وبالعدل على الصديق والعدو»^(٢).
- ٥- وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما أوسع العدل ذا عدل فيه وإن قل»^(٣).
- ٦- وعنه عليه السلام أيضاً قال: «العدل أحلى من الماء يصبه الضمآن»^(٤).
- ٧- وعنه عليه السلام أيضاً قال: «العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك»^(٥).
- ٨- وعنه عليه السلام أيضاً قال: «ثلاثة أشياء يحتاج إليها الناس

(١) كنز العمال، ج ٥، ص ٣٩٢، رقم ١٣٣٨١.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٧٤، ص ٢٣٦، رقم ١.

(٣) أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ضبطه وصححه وعلق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٢، ص ١٥٤، رقم ١١ (باب الإنصاف والعدل).

(٤) أصول الكافي، ج ٢، ص ١٥٤، رقم ١١ (باب الإنصاف والعدل).

(٥) أصول الكافي، ج ٢، ص ١٥٤، رقم ١٥ (باب الإنصاف والعدل).

طراً: الأمن والعدل والخصب»^(١).

٩- وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «إن صلاحكم من صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبوا له ما تحبون لأنفسكم، وكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم»^(٢).

هذه الأحاديث الشريفة تدل على مكانة العدل، وضرورة إقامة العدالة الاجتماعية في إدارة البلاد والعباد، ومعاونة الحاكم العادل، والنهي عن الجور والظلم والطغيان.

(١) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٣٩٤.

(٢) الوسائل، ج ١٦، ص ٢٢٠، رقم ٢١٤٠٦.



مفهوم العدالة الاجتماعية

توجد تعاريف عديدة لمفهوم العدالة الاجتماعية، وتختلف هذه التعاريف باختلاف أصحابها، فعلماء الأخلاق ينظرون إليها كخصلة أخلاقية تحفز على احترام حقوق الآخرين، وعلماء القانون يعرفون العدالة بسيادة القانون، وعلماء الفقه ينظرون للعدالة كشرط لصحة مجموعة من الأعمال كاشتراطها في إمام الجماعة، وللشهادة في عدة مواضع، وفي القاضي، وفي الفقيه المقلد.. وغيرها. وعلماء الاجتماع يركزون على أنه لا استقرار اجتماعي بدون سيادة العدالة، وعلماء الفلسفة يرون أن فلسفة الوجود قائم على العدالة... وهكذا يربط علماء كل حقل من حقول المعرفة الإنسانية العدالة بمجالهم الخاص بهم. والصحيح أن العدالة تشمل كل ذلك وأكثر؛ فالعدالة هي محور كل شيء في حياتنا، وأصل للأصول الأخرى.

ويمكننا أن نعرف مفهوم العدالة الاجتماعية - بحسب

الرؤية القرآنية - بأنها: رعاية الحقوق العامة للمجتمع والأفراد، وإعطاء كل فرد من أفراد المجتمع ما يستحقه من حقوق واستحقاقات، والتوزيع العادل للثروات بين الناس، والمساواة في الفرص، وتوفير الحاجات الرئيسة بشكل عادل، واحترام حقوق الإنسان المعنوية والمادية.

والعدل وفق الرؤية القرآنية - كما يرى الدكتور علي محسني - «ملاك وميزان الخالق في تدبير أمر خلقه ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانُ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾^(١) كما أن الحكم بالعدل والقسط في جميع مجالات حياة الإنسان أحد الأهداف الأساسية لبعث الأنبياء عليهم السلام، والغاية النهائية لجميع الأديان الإلهية ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢)، كذلك فتحقق العدل أحد وظائف الأنبياء ﴿فَلذَلِكَ فَادَعُ وَاستَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ

(١) سورة الرحمن: الآيات ٦ - ٨.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.

المُصِيبُ ﴿١﴾، بل إن أوامر الله تعالى قائمة بالعدل والإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢﴾، والقرآن حينما يأمر جميع الناس بالعدل يشدد على المؤمنين ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ ﴿٣﴾، كما أجاز القرآن القتال من أجل رفع الظلم وإبادة الظالمين ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٤﴾، بل إن إقامة العدل واجبة حتى لو أدت إلى المواجهة مع العدو ﴿الْيَوْمَ يَسْأَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِمَّن دِينَكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾ ﴿٥﴾، فالعدل أساس الثواب والعقاب يوم القيامة ﴿٦﴾ ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾.

وقد ركز القرآن الكريم كثيراً على أهمية تطبيق العدالة في المجتمع، وبالرغم من أن القرآن الكريم قد أشار إلى مختلف أنواع

(١) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٤) سورة الحج: الآية ٣٩.

(٥) سورة المائدة: الآية ٣.

(٦) مجلة نصوص معاصرة، العدد السابع، صيف ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ،

موضوع (دور العدالة في التنمية الاقتصادية)، د. علي محسني،

ص ٤٧. (بتصرف قليل)

(٧) سورة الأنبياء: الآية ٤٦.

العدالة فيما يقرب من ثلاثين مرة في القرآن الكريم؛ إلا أن العدالة الاجتماعية قد حظيت بأكثر من نصف الآيات التي أشارت إلى العدل، فالقرآن المجيد احتوى على ستة عشرة آية تختص بالعدالة الاجتماعية.

ذلك لأنه لا يمكن تحقيق العدالة في عديد من أنواعها بدون وجود العدالة الاجتماعية، فهي التي توجد الأجواء المناسبة والأرضية الصالحة لتطبيق مبدأ العدل والعدالة في الأبعاد الأخرى، فالعدالة الاجتماعية تعتبر من أهم مكونات ومرتكزات العدل في الإسلام الحنيف.



الإمام الحسين عليه السلام وتحقيق العدالة الاجتماعية

عندما يسود المجتمع الظلم الاجتماعي، فإن المطلوب هو العمل نحو تحقيق العدالة الاجتماعية، من خلال استخدام كل الآليات والوسائل المشروعة لتغيير الواقع، وتغيير الظلم الاجتماعي إلى العدالة الاجتماعية بحاجة لأن يغير المجتمع من نفسه حتى يحدث التغيير، ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١) ويتحمل المظلومون والمستضعفون أنفسهم مسؤولية كبيرة في تغيير الواقع، ويجب أن يكونوا أكثر استجابة لمنطق التغيير، وأكثر عملاً من أجل تحقيق العدل والحرية، وهم موعودون من الله سبحانه وتعالى بالنصر ضد الظالمين، يقول تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الرعد: الآية ١١.

(٢) سورة القصص: الآية ٥.

والتغيير الاجتماعي لا يمكن أن يحدث من فراغ، بل يحتاج إلى عمل جاد في مواجهة الظلم، وإصرار على تحقيق الهدف وهو تحقيق العدل الاجتماعي رغم كل المعوقات والعقبات، وهذا ما يأمرنا به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢) فالله عز وجل الذي يأمرنا بالعدل والإحسان يحملنا مسؤولية تطبيق ذلك على أرض الواقع، فالحاكم والمجتمع والأفراد - كل بحسبه - يتحملون مسؤولية تطبيق العدل والعدالة الاجتماعية، وهو ما يعني أيضاً مقارعة الظلم والظالمين.

والتغيير الاجتماعي نحو تطبيق العدل يتطلب التدافع - بحسب التعبير القرآني - يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤) فالتدافع من صفات الاجتماع الإنساني، وبالتدافع نستطيع أن نقاوم الظلم والظالمين،

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

ونحافظ على قيم العدل والعدالة والحرية والشورى والسلام.

وعندما يقوم المظلومون والمستضعفون بدورهم في مقارعة الظلم والعمل لتحقيق العدل فإنهم موعودون بالنصر والعزة والكرامة، ووراثه مقاليد الأمور من الظالمين كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطُؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(٢) لكن هذه الوراثة لن تتحقق إلا بالعمل الجاد، والتخطيط الدقيق، واستخدام كل الأساليب الممكنة والمشروعة لمقاومة الظلم والظالمين، وتحقيق العدل وتطبيق العدالة الاجتماعية.

ولأن الظلم مرفوض ومنهي عنه، ولا يجوز السكوت عن الظالم، بل يجب نهيه عن ظلمه، وكلما كان الظلم صادراً من الحاكم كان ضرره أشد وأخطر، لذلك عندما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن يزيد بن معاوية قد أوغل في ممارسة الظلم، وإحياء البدعة، وإماتة السنة، أعلن ثورته ونهضته ضد حكمه الظالم، فقد خطب الإمام الحسين عليه السلام خطبة بأصحابه وأصحاب الحر أوضح فيها دوافع ثورته، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال عليه السلام:

«أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من رأى سلطاناً

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٧.

(٢) سورة الدخان: الآية ٢٨.

جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله) ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيري»^(١).

فالإمام الحسين عليه السلام في هذه الخطبة يوضح معالم الحكم الظالم وسياسة الظالمين وهي:

- ١- طاعة الشيطان واجتناب أوامر الله عز وجل. (قد لزموا طاعة الشيطان).
- ٢- نشر الفساد بمختلف صورته وأشكاله. (وأظهروا الفساد).
- ٣- تعطيل الحدود الشرعية، ووضع قوانين وضعية. (وعطلوا الحدود).
- ٤- الاستئثار بالأموال واحتكار القدرات الاقتصادية

(١) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج ٣، ص ٣٠٧. والكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج ٣ ص ٤٠٨.

والمالية. (واستأثروا بالفيء).

٥- تحليل الحرام وتحريم الحلال في مخالفة صريحة لما أمر الله تعالى به. (وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله).

ومن يقرأ التاريخ، ويطلع على سياسة الظالمين سيجد أن هذه المرتكزات للحكم الظالم هي نفسها على طول التاريخ وإن اختلفت في التفاصيل.

وعندما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن الحكم القائم في زمانه لا يمكن أن يتغير بالوسائل السلمية، وأن الدين في خطر، وأن الواجب يحتم عليه الذهاب إلى إعلان الثورة ضد الحكم الأموي، وإن كان الثمن غالياً، لم يتردد في اتخاذ قرار الشهادة، وإعلان الثورة، لأن الحفاظ على الدين، وفضح دعاوى الظالمين، والثبات على القيم والمبادئ أهم من الحياة في ظل الظلم والاستبداد والقهر والذل، وهو القائل عليه السلام «لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد»^(١).

وبهذا أوضح لنا الإمام الحسين بن علي عليه السلام أن من دوافع ثورته ونهضته المباركة هو رفض الظلم ومقاومة الظالمين، وأن المنتصر في هذه المعركة هو من يتمسك بمبادئه وقيمه، وهو ما

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ج٣، ص٤١٩.

أثبت التاريخ حقيقته حيث انتصر الدم على السيف، والحق على الباطل، والمظلوم على الظالم، والمقتول على القاتل.

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت موجهة ضد الظلم والظالمين، ومن أجل تطبيق العدل والعدالة الاجتماعية، والحفاظ على الإسلام، والدفاع عن القيم الروحية والأخلاقية النبيلة.



ألا ترون أن الحق لا يعمل به؟!!

عندما رأى الإمام الحسين عليه السلام كثرة المفاسد والمظالم التي يقوم بها الأمويون تجاه الناس، وغياب العدالة الاجتماعية، وانتهاك الأعراض، وفقدان الأمن، واحتقار الأمة، والعمل على محو ذكر أهل البيت، وانهيار المجتمع، وقتل المعارضين، وتضييق الخناق عليهم، والاستئثار بالأموال، وإماتة السنة، وإحياء البدعة، قال عليه السلام: «إن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرت^(١) جداً، فلم يبق منها إلا صباغة كصباغة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه! ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإني لا أرى الموت إلا شهادة^(٢)، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً^(٣)»

(١) لعله من المرارة؛ أي صارت مرة ضد الحلوة.

(٢) في بعض المصادر (سعادة).

(٣) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ج ٣، ص ٣٠٧.

وبهذا أوضح لنا الإمام الحسين بن علي عليه السلام أن من دوافع ثورته ونهضته المباركة هو رفض الظلم ومواجهة الظالمين، والعمل على تحقيق العدل والإحسان والقسط.

وقد أراد الإمام الحسين عليه السلام بثورته العظيمة أن يوجد زلزلاً مدوياً في عقول وقلوب المسلمين نحو رفض الظلم والظالمين، والعمل على إقامة العدل، وتطبيق العدالة الاجتماعية في الأمة، فلا يمكن أن يتمتع الإنسان بحقوقه المعنوية والمادية الكاملة إلا في ظل تطبيق مبادئ العدالة الاجتماعية التي أمر الإسلام بتطبيقها في شؤون الإدارة والحكم؛ بل في كل شؤون الحياة.



الإمام الحسين عليه السلام ومواجهة الظلم والفساد

يعد الظلم من أخطر الآفات المهددة للمجتمعات الإنسانية بالانهار والزوال والدمار، فما ساد الظلم في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية وإلا وساده انتهاك حقوق الإنسان، وانعدام الاستقرار الاجتماعي، وسلب الحريات الفردية والعامّة، وضياع الحقوق، وغياب العدل، وانتشار الفساد والمفسدين. لذلك حذر القرآن الكريم من ممارسة الظلم، وتوعد الظالمين بسوء العاقبة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢).

ولأن الظلم من أقبح الذنوب والمعاصي، ولأنه قبيح في ذاته، ويمتد ضرره إلى الآخرين، خصوصاً إذا كان الظالم من المتنفذين في أي موقع كان، إلا أن الحاكم الظالم هو الأشد خطراً

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢١.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

وضرراً لأن ظلمه سيصل إلى كل الناس، لذلك اعتبر الله سبحانه وتعالى أن من لا يحكم بما أمر الله به فهو من الظالمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

والظالمون قد أعد الله لهم العذاب الأليم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾^(٢) وهذا العذاب الأليم دائم في جهنم، حيث يخلد الظالمون فيها كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّثَبِّمٍ﴾^(٣).

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٧.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٥.



الإمام الحسين عليه السلام والتصدي للظلم

الظلم مرفوض من أي شخص صدر، وتجاه أي شخص أو فئة أو مجتمع وجه إليه، ولأنه لا يجوز السكوت عن الظالم، بل يجب نهيه عن ظلمه، وكلما كان الظلم صادراً من الحاكم كان ضرره أشد وأخطر، لذلك عندما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن يزيد بن معاوية قد أوغل في ممارسة الظلم، وإحياء البدعة، وإماتة السنة، أعلن ثورته ونهضته ضد حكمه الظالم، رافعاً شعار الإصلاح والحرية والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فها هو الإمام الحسين عليه السلام يقف خطيباً ليعلن أن الموت في سبيل الحق سعادة، وأن العيش في ظل الظالمين شقاء وتعاسة، يقول عليه السلام ما نصه: «ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه! ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإني لا أرى الموت

إلا شهادة^(١)، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً^(٢).

وبهذا أوضح لنا الإمام الحسين بن علي عليه السلام أن من أسباب ثورته ونهضته المباركة هو مواجهة الظلم ومقاومة الظالمين، ورفض الفساد والمفسدين.

فالإمام الحسين عليه السلام صار يصدق باسمه كل المسلمين، ويرفع رايته كل إنسان حر وشريف، ويناضل باسمه كل مكافح ومجاهد ضد الظلم والظالمين. وأما أعداء الحسين عليه السلام فلم يبق لهم من التاريخ إلا الذكر السيء، واللعن الدائم عليهم، حيث أمر القرآن الكريم بلعن الظالمين كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣) فالظالم مخالف لأوامر الله تعالى حيث يجتنب تطبيق العدل والإحسان، ويتعمد ارتكاب أعظم الموبقات وهو ظلم العباد.

(١) في بعض المصادر (سعادة).

(٢) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج ٣، ص ٣٠٧.

(٣) سورة هود، الآية: ١٨.



مواجهة الظلم

الظلم بمختلف أشكاله وصوره قبيح ومذموم ومرفوض شرعاً وعقلاً ومنطقاً، والظلم له مجالات عديدة، وصور متنوعة، فقد يمارس أحدنا الظلم ضد نفسه وذاته، وقد يمارس الظلم ضد عائلته وهو ما يسمى بـ (العنف الأسري)، أو يمارس العنف ضد مجتمعه من خلال ما يمتلك من نفوذ وقدرات كبيرة، وأشد الظلم وأخطره أن يمارس الحاكم الظلم ضد رعيته وشعبه.

وعندما نستذكر دوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والتي منها دافع مواجهة الظلم ومقاومته، علينا أن نستلهم من سيرة الإمام الحسين عليه السلام هذا الدافع الموجود في تاريخ البشرية، وإن كان في صور مختلفة، وأشكال متعددة، لكن يبقى الظلم هو القاسم المشترك فيها.

والسؤال هو: كيف نواجه الظلم والظلمة؟ وما هو واجبنا

تجاه الممارسات الظالمة التي يمارسها الظالمون تجاه المظلومين؟

يمكن تلخيص الإجابة على هذه التساؤلات من خلال النقاط التالية:

١- رفض الظلم قلبياً:

أول خطوة في مقاومة الظلم رفضه قلبياً، وعدم القبول به تحت أي مبرر، فالظلم لا يمكن تبريره لأنه شر مطلق، وعمل محرم، فالله سبحانه وتعالى قد حرم الظلم على نفسه وجعله على غيره محرماً، وأمر بالعدل والإحسان كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(١).

وفائدة الرفض القلبي للظلم هو عدم الاستئناس به، وعدم القبول به، ومن ثم عدم التعاون مع الظالم، أو الركون إليه، لأن الركون إلى الظلمة في ظلمهم أمر محرم بنص القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(٢).

ولأن الظلم أمر محرم شرعاً وعقلاً، فإن الواجب علينا رفضه بغض النظر عن مصدره، ومهما كان حجمه ونوعه وصورته، فالظلم شر محض يجب رفضه.

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

٢- مقاومة الظلم بالبيان والتعبير :

ثاني الخطوات المهمة في مواجهة الظلم ومقاومته هو الجهر بالمظلومية، والتشهير بالظالم بمختلف الوسائل كالبيان بالقلم، أو التعبير باللسان، أو حتى بالدعاء على الظالم.

فالجهر بالمظلومية والتشهير بالظالم من الأساليب التي أشار إليها القرآن الكريم في مواجهة الظلم، إذ يقول تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾^(١).

وقد استفاد الفقهاء من هذه الآية الشريفة على حرمة الغيبة وجواز التشهير بالظالم من قبل المظلوم، قال الشيخ الأنصاري: «تظلم المظلوم وإظهار ما فعل به الظالم وإن كان متسترًا به كما إذا ضربه في الليل الماضي وشمته أو أخذ ماله جاز ذكره بذلك عند من لا يعلم ذلك منه لظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَنْ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾^(٣).

وإن في منع المظلوم من هذا الذي هو نوع من التشفي حرجاً

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

عظيماً ولأن في تشريع الجواز مظنة ردع للظالم وهي مصلحة خالية عن مفسدة فيثبت الجواز لأن الأحكام تابعة للمصالح، ويؤيده ما تقدم من عدم الاحترام للإمام الجائر^(١).

وحيث لا كرامة للظالم، سواء كان فرداً وي مارس ظلمه على أفراد محدودين، أو كان حاكماً وي مارس ظلمه على جميع الناس، فكما يجوز للمظلومين التشهير بالظالم في الأمور الفردية، كذلك - ومن باب أولى - أنه يجوز بل قد يجب التشهير بالحاكم الظالم من أجل رفع الظلم الاجتماعي عن الناس، وتحقيق العدالة الاجتماعية.

أما السكوت عن الظلم، والقبول به فإنه يؤدي إلى تشجيع الظالم على ظلمه، ويحفزه نحو المزيد من الظلم، وانتهاك حقوق الآخرين.

والواجب علينا -بالإضافة إلى مقاومة الظلم بكل الوسائل الممكنة والمشروعة- مساعدة المظلومين، والمطالبة بحقوقهم، والدفاع عنهم، والوقوف معهم.

فالوقوف مع المظلومين، ومساعدتهم معنوياً ومادياً، ومطالبة الظالم برفع الظلامة عن المظلومين، ورد الحقوق إليهم سيدفع الظالم - ولو بعد حين - إلى التراجع عن ظلمه، وإنصاف

(١) انظر كتاب المكاسب، الشيخ مرتضى الأنصاري، مؤسسة النعمان، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج ١، ص ١٢٥.

المظلومين، فما ضاع حق ورائه مطالب كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

٣- مواجهة الظلم عملياً:

المواجهة العملية ضد الظلم تعني العمل بمختلف الوسائل والآليات الممكنة لتغيير الواقع من الظلم إلى العدل، ومن الفساد إلى الإصلاح، ومن الجور إلى الإحسان، ومن انتهاك الحقوق إلى ضمانها والدفاع عنها.

والوسائل لتحقيق التغيير الاجتماعي تختلف من زمان لزمان ومن مكان لآخر، فليس المطلوب هو نسخ الوسائل وتطبيقها في كل زمان ومكان، بل المطلوب البحث عن أفضل الوسائل المناسبة لمقاومة الظلم عملياً، وتحقيق العدل، وهو ما يتطلب جهوداً كبيرة ليتحقق ذلك على أرض الواقع.

والتغيير الاجتماعي قد يتطلب ثورة أو انتفاضة أو نهضة كما قام بذلك الإمام الحسين عليه السلام، وكما حدث طوال التاريخ من ثورات حتى في المجتمعات غير المسلمة كالثورة الفرنسية أو الثورة ضد الحكم الشيوعي في أوروبا الشرقية، وقد لا يتطلب الأمر ذلك، بل البحث عن وسائل جديدة ومؤثرة وقادرة على التغيير الاجتماعي.

فالمهم هو مقاومة الظلم عملياً، وعدم القبول به، وعدم

السكوت عنه، والسعي بجد وإخلاص حتى تحقيق العدل والعدالة الاجتماعية.

فالإمام الحسين عليه السلام عندما ثار وضحى واستشهد لم يكن أمامه سوى هذا الخيار من أجل إحداث التغيير المطلوب، ومقارعة الظلم، وإحلال العدل.

وقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام بثورته أن يحدث صدمة في المجتمع الإسلامي، فحدثت بعد تلك الفاجعة المؤلمة الكثير من الثورات والانتفاضات المتتابعة كثورة التوابين وثورة المختار الثقفي، وانتهى الأمر بسقوط الحكم الأموي عام ١٣٢هـ، على يد العباسيين الذين رفعوا شعار مظلومية بني هاشم والتشهير بظالمهم، وهو الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية.

٤- عدم التعاون مع الظالم:

في مواجهة الظلم بمختلف صورته وأشكاله يوجهنا القرآن الكريم إلى عدم الركون إلى الظلمة، لأن في التعاون معهم والميل إليهم والرضا بهم يؤدي إلى تقوية شأنهم، وقوتهم يؤدي إلى زيادة مساحة الظلم والجور في المجتمع، وتغييب العدل والعدالة والحرية والشورى عن أجواء المجتمع وثقافته.

ويحذر القرآن الكريم من أن عقاب الركون إلى الظلمة هو النار في الآخرة، وذلك هو الخسران المبين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(١).

وفي اللغة: الركون إلى الشيء هو السكون إليه بالمحبة له والإنصات إليه ونقيضه النفور عنه^(٢).

وفي التفسير: إن الركون إلى الظالمين المنهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم وإظهار الرضا بفعلهم أو إظهار موالاتهم، فأما الدخول عليهم أو مخالطتهم ومعاشرتهم دفعاً لشرهم فجائز عن القاضي، وقريب منه ما روي عنهم عليهم السلام أن الركون المودة والنصيحة والطاعة ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ أي فيصيبيكم عذاب النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي مالكم سواه من أنصار يدفعون عنكم عذاب الله وفي هذا بيان أنهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا إلى الظالمين نالتهم النار ولم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبة لهم على ذلك ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي لا تنصرون في الدنيا

(١) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ج ٥، ص ٣٠٥.

على أعدائكم لأن نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين^(١).

وفي الفقه: أوضح الشيخ الأنصاري بالتفصيل حكم معونة الظالمين، فقال: معونة الظالمين في ظلمهم حرام، بالأدلة الأربعة، وهو من الكبائر، أما معونتهم في غير المحرمات فظاهر كثير من الأخبار حرمتها أيضاً؛ لكن المشهور عدم الحرمة حيث قيدوا المعونة المحرمة بكونها في الظلم.

وبعد أن استعرض الروايات الواردة في الموضوع بالتفصيل قال: وقد تبين مما ذكرنا أن المحرم من العمل للظلمة قسماً:
أحدهما: الإعانة لهم على الظلم.

والثاني: ما يعد معهم من أعوانهم والمنسوين إليهم، وأما ما عدا ذلك فلا دليل معتبر على تحريمه^(٢).

ومما تقدم يتضح لنا أن معاونة الظالم في ظلمه أمر محرم لما له من مفسد كبيرة؛ إذ يساعد ذلك على نشر الظلم وتقويته، والقضاء على العدالة، وطغيان الظلمة، وتضاعف جورهم

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ج ٥، ص ٣٠٦.

(٢) انظر كتاب المكاسب، الشيخ مرتضى الأنصاري، مؤسسة النعمان، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ج ١، ص ١٥٣ - ١٥٥.

وقهرهم للناس.

لذلك توعد الله عز وجل معاوني الظلمة في ظلمهم بالنار ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ وأكد على ذلك الرسول الأعظم ﷺ بقوله: «من أعان ظالماً على ظلمه جاء يوم القيامة وعلى جبهته مكتوب: آيس من رحمة الله»^(١) وقوله ﷺ: «من مشى مع ظالم فقد أجرم»^(٢) يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾^(٣).

ولو أن الظلمة لم يجدوا من يعينهم ويساعدهم على ظلمهم لما استطاعوا أن يظلموا أحداً، ولكن الظلمة يجدون الكثير من الأعوان والأنصار ممن يساعدهم على ممارسة الظلم ونشره في كل شيء، ولذلك فهم يعدون من أعوان الظلمة، وستصيبهم النار كما تصيب الظلمة أنفسهم.

وإذا ما أردنا نشر العدل والعدالة الاجتماعية فلنترك الظلمة لوحدهم، وعندها لن يستطيعوا أن ينشروا الظلم، وسينهارون بسرعة البرق، لأن الظالم لا يمكنه لوحده أن يمارس الظلم، وإنما يمارسه عندما يجد من يعينه عليه، ولنتذكر مره أخرى قوله تعالى:

(١) ميزان الحكمة، الري شهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج ٤، ص ١٧٧٩، رقم ١١٤٧٠.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٢، ص ٣٧٧، رقم ٣١..

(٣) سورة السجدة: الآية ٢٢.

﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١) ولنعمل بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(٢).

٥- الدعاء على الظالم:

الدعاء على الظالم بأن ينتقم الله عز وجل منه من الوسائل المهمة والبسيطة التي يستطيع كل مظلوم أن يمارسه ضد ظالمه، وقد استفاد ابن عباس من قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾^(٣) أن معناه لا يجب الله الجهر بالدعاء على أحد إلا أن يظلم إنسان فيدعو على من ظلمه، فلا يكره ذلك^(٤).

وقد أمرنا الله تعالى بالدعاء، فقال عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٥) وورد عن الرسول الأعظم عليه السلام أن دعوة المظلوم مستجابة، إذ ورد عنه عليه السلام أنه قال: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها يسأل الله تعالى، وإن الله تعالى لم يمنع ذا حق

(١) سورة هود: الآية ١١٣.

(٢) سورة القصص: الآية ١٧.

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج ٣، ص ٢٠١.

(٥) سورة غافر: الآية ٦٠.

حقه»^(١) وقوله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»^(٢) وعندما سُئل الإمام علي عليه السلام: كم بين الأرض والسماء؟ قال عليه السلام: «بين السماء والأرض مد البصر، ودعوة المظلوم»^(٣).

فعلى الإنسان المظلوم أن لا يقبل بالظلم، وإذا كان لا يستطيع ممارسة أي عمل على ظالمه فليدعو الله عز وجل أن ينتقم منه، ويخلصه من الظالم، ويرجع الحق إليه.

كما يجوز لعن الظالم كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٥) لأن الظالم مخالف لأوامر الله تعالى بتطبيق العدل والعدالة، ومتعمد لارتكاب العمل المحرم وهو الظلم وهو من أكبر المعاصي والذنوب.

وقد دعا الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء على ظالميه الذين مارسوا القتل وانتهاك الحرمات، فعندما استشهد علي

(١) ميزان الحكمة، محمد الري شهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج ٤، ص ١٧٨١، رقم ١١٤٩١.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الري شهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج ٤، ص ١٧٨١، رقم ١١٤٩٥.

(٣) ميزان الحكمة، محمد الري شهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج ٤، ص ١٧٨١، رقم ١١٤٩٧.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٤.

(٥) سورة هود: الآية ١٨.

الأكبر رفع الحسين سبافته نحو السماء وقال: «اللهم أمنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا»^(١). وقال عليه السلام أيضاً بعد شهادته: «قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الرحمن وعلى رسوله، وعلى انتهاك حرمة الرسول»^(٢).

وقال الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادة ولده الصغير عبد الله «يا رب إن كنت حبست عنا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير منه، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين»^(٣). وقال عليه السلام بعد شهادة القاسم بن الحسن عليه السلام: «اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً»^(٤). وبعد شهادة عبد الله بن الحسن قال الإمام الحسين عليه السلام: «اللهم إن متعتهم إلى حين فرقهم فرقا، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا»^(٥).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ٤٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ٤٤.

(٣) إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٤٦٨.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ٣٦.

(٥) إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٤٦٦.

فدعاء المظلوم على الظالم لا يحجبه حاجب، وهذا من أهم الوسائل وأسهلها في مواجهة الظلم والظالمين، وقد استجاب الله تعالى لدعاء الإمام الحسين عليه السلام فقد انتقم الله من جميع الظلمة ممن شاركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، فقد انتقم الله عز وجل من يزيد سريعاً، فلم يدم عمره بعد معركة كربلاء أكثر من ثلاث سنين، ليذهب بعارها وشنارها، كما انتقم الله عز وجل ممن قاتلوا الإمام الحسين سريعاً، قال الزهري: ما بقي منهم أحد إلا وعوقب في الدنيا: إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة^(١) وفي الآخرة لهم عذاب شديد.

وحكي السدي قال: نزلت بكربلاء ومعني طعام للتجارة فنزلنا على رجل فتعشنا عنده وتذاكرنا قتل الحسين وقلنا ما شرك أحد في دم الحسين إلا ومات أقبح موة.

فقال الرجل: ما أكذبكم أنا شركت في دمه وكنت فيمن قتله وما أصابني شيء.

قال: فلما كان آخر الليل إذا بصياح قلنا: ما الخبر؟

قالوا: قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصبعه ثم دب

(١) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٣٥.

الحريق في جسده فاحترق.

قال السدي: فأنا والله رأيتُه كأنه حممة^(١).

أما الإمام الحسين عليه السلام فقد أصبح مخلداً تزوره الملايين سنوياً لتستلهم منه روح العزة والاستقامة والصمود والشموخ والإباء والكرامة.

(١) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٣٧.



الخاتمة

سيرة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء وما قبلها تلهم كل إنسان حر وشريف بضرورة رفض الظلم نفسياً وعقلياً وعملياً، فالظلم قبيح في نفسه، وهو من أعظم الموبقات والمحرمات؛ لذلك قال الإمام الحسين عليه السلام مقولته الشهيرة: «لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(١) وقوله عليه السلام «موت في عز خير من حياة في ذل»^(٢) فالحياة في ظل الظلم والقهر والطغيان شقاء وتعاسة، أما الموت في سبيل الحق وتحقيق العدل فهو سعادة كما يرى الإمام الحسين عليه السلام.

فعلى الأجيال المسلمة والحررة أن لا يقبلوا بأي ظلم، ولا بظلم أي ظالم، فالقبول بالظلم معاونة للظالم على ظلمه، وفي

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٧٦. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٤، ص ١٩٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٤، ص ١٩٢.

المقابل العمل من أجل تحقيق العدل في كل شيء، ورفض الظلم في أي شيء. أما الأساليب والأدوات لتحقيق ذلك فيختلف باختلاف الزمان والمكان، لكن يبقى رفض الظلم ومقاومته والسعي لتحقيق العدل أمر ثابت لا يتغير.

ومن جهة أخرى يجب العمل من أجل تحقيق العدل الاجتماعي، فالعدل هو محور كل شيء، وهو أساس تحقيق السعادة والرفاء والتقدم، وهو الذي يحافظ على التوازن الاجتماعي، فما طبق العدل في مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا وتحقق له الخير والرخاء والأمن والاستقرار الاجتماعي، لذلك كله أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

فالإمام الحسين عليه السلام إنما ثار ونهض واستشهد مع أهل بيته وخيرة أصحابه من أجل تحقيق العدل الاجتماعي، ومقاومة الظلم والظالمين، ومحاربة الفساد والمفسدين.

وعلى كل واحد منا أن يطبق العدل ضمن دائرته الاجتماعية ابتداء من الأسرة ومروراً بمكان العمل مع زملائه وانتهاء بالعمل من أجل تحقيق العدل في كل شيء.

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

وكل شخص يمارس الظلم ضد أحد أفراد أسرته أو ضد
مرؤوسيه أو ضد أي شخص آخر في المجتمع، فهو بعيد عن
منهج الإمام الحسين عليه السلام وعن رسالته في عاشوراء، وبعيد عن
أخلاقياته ومناقبياته الراقية والعالية.



المصادر والمراجع

- ١ - خير ما نبتدى به: القرآن الكريم.
- ٢ - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: د. محمد يوسف الرقاق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٣ - ابن شعبه الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الخامسة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- ٤ - ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة

- الثانية ١٤١٢هـ.
- ٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٦- الأنصاري، مرتضى، كتاب المكاسب، مؤسسة النعمان، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٧- الحر العاملي، محمد بن الحسن، (المتوفى سنة ١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- ٨- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد (ت ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٩- الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
- ١٠- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص، علّق عليه ووضع حواشيه: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ١١- الشرباصي، أحمد، موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد

- العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٢ - الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات القرآن، مؤسسة أبي صالح للنشر والثقافة، قم - إيران، غير مذكور عدد الطبعة ولا تاريخها.
- ١٣ - الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم (ت ٤٠٦ هـ - ١٠١٥ م)، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ١٤ - الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ١٥ - الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- ١٦ - الطبرسي، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الطبري.. تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ١٧ - الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، أصول الكافي،

ضبطه وصححه وعلّق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٨ - المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، غير مذكور عدد الطبعة.

١٩ - المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

٢٠ - مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استانبول - تركيا، غير مذكور عدد الطبعة ولا تاريخها.

٢١ - محسني، علي، مجلة نصوص معاصرة، موضوع: (دور العدالة في التنمية الاقتصادية)، العدد السابع، بيروت، صيف ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ.

٢٢ - مطهري، مرتضى، العدل الإلهي، مؤسسة أهل البيت، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، غير مذكور عدد الطبعة.



المحتويات

المقدمة	٧
العدل في القرآن الكريم	١٣
في معنى العدل	١٧
في معنى الظلم	١٩
١ - المعنى اللغوي	١٩
٢ - المعنى الاصطلاحي	٢٠
٣ - معنى الظلم الاجتماعي	٢٠
أنواع الظلم	٢٣
الأول - ظُلمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى	٢٣
والثاني - ظُلمٌ بينه وبين الناس	٢٤
والثالث - ظُلمٌ بينه وبين نفسه	٢٤
العدل في السنة الشريفة	٢٧
مفهوم العدالة الاجتماعية	٣١

- الإمام الحسين عليه السلام وتحقيق العدالة الاجتماعية ٣٥
- ألا ترون أن الحق لا يعمل به؟! ٤١
- الإمام الحسين عليه السلام ومواجهة الظلم والفساد ٤٣
- الإمام الحسين عليه السلام والتصدي للظلم ٤٥
- مواجهة الظلم ٤٧
- ١- رفض الظلم قلبياً ٤٨
- ٢- مقاومة الظلم بالبيان والتعبير ٤٩
- ٣- مواجهة الظلم عملياً ٥١
- ٤- عدم التعاون مع الظالم ٥٢
- ٥- الدعاء على الظالم ٥٦
- الخاتمة ٦١
- المصادر والمراجع ٦٥
- المحتويات ٦٩

للتواصل مع المؤلف

الموقع على الإنترنت: www.alyousif.org	
البريد الإلكتروني: alyousif@alyousif.org alyousif50@gmail.com	
انستغرام: http://instagram.com/alyousiforg	
صفحة الفيس بوك: http://www.facebook.com/alyousif.org	
سناب شات https://www.snapchat.com/add/alyousiforg	
صفحة التويتز: https://twitter.com/#!/alyousiforg	
قناة اليوتيوب: http://www.youtube.com/alyousiforg	
قناة التليجرام https://telegram.me/alyousiforg	

الإمام الحسين ومبدأ العدالة الاجتماعية

يتناول هذا الكتاب أحد أهم دوافع الثورة الحسينية وهو العمل من أجل تحقيق العدل وبناء العدالة الاجتماعية ، ورفض الظلم والفساد ، والتصدي للظالمين والمفسدين في الأرض.

وقد ركزت هذه الدراسة المختصرة على مبدأ العدل في الرؤية الإسلامية ؛ لأن العدل يعد محورا لكل شيء ، وعليه تركز فلسفة التشريع ، وحكمة التكوين ، وبناء المجتمع ، وحفظ الحقوق ، وتعميق المبادئ الأخلاقية . وأوضح المؤلف في هذه الدراسة دور الإمام الحسين (ع) ونهضته المباركة في إعلاء قيمة العدل ومبدأ العدالة الاجتماعية في الحكم والإدارة وجميع شؤون الحياة العامة ، فالعدل هو محور كل شيء ، وهو أساس تحقيق السعادة والرفاء والتقدم ، وهو الذي يحافظ على التوازن الاجتماعي ؛ فما طبق العدل في مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا وتحقق له الخير والرخاء والأمن والاستقرار الاجتماعي .